سور الصداقة والعداوة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

وَفِيٌّ غادر سمحٌ حقود ... أرى الأضداد فيك إلى لقاء
أمَدْحك لى انتقام من عدو ... أساء اليك أم محض الثناء
وفاؤك كى أبادلك التحايا ... أذا سبب التقرب والتنائى ؟
وكيما أصطلى وأشن حرباً ... على من مدحه لك كالهجاء
أتخدعنى ولم تلحق بسنى ... وَلم تظفر بخُبرىَ أو بلائى
وتمذق لى إخاءك مذق حقد ... على وما أصبتك بالعداء
تحاربنى وتحسب أن ستخفى ... عداوك ليس يظفر بالخفاء
كشأن نعامة للرأس تخفى ... وتحسب ما لها فى الناس رائى
ولست بأول المخفين بغضاً ... نما بين المحبة والإخاء
عرفت الناس قبلك يا خليلى ... وذقت الغدر من حلو الوفاء
فان كان الولاء كما أراه ... فويلى من وفائك والولاء
وبُعداً للمديح وإن تغالى ... وسحقاً للمروءة والصفاء
سل الخلان ما فعلوا بقلبى ... وهل أبقوا لشدقك من غذاء
وهل أبقوا لبطنك منه شِلواً ... مريراً لا يساغ على عداء
أعيذك أن أراك شبيه قوم ... رجولة بعضهم فقد الحياء
وهم فقدوه من ذل وعار ... وهم فقدوه من فقد الأباء
وكم أخفوا رخاوتهم بهُجْرٍ ... كمن فقد الحياء من النساء
وهم مثل الهلوك رمت رجالاً ... بما قد صح فيها من هجاء
على الأبواب واقفة تزَنَّى ... وترمى القوم من دان ونائى
وتحسب أنها نفضت خناها ... كجلد الكلب هزّ لنفض ماء
فلا يعديك خلقهم فانى ... رأيت الخُلْق يعدى كالوباء
صفحت ولو أردت بلغت ثأرى ... وقد عُرِفَ اقتدارىَ فى الرماء
فان يأبوا وإن تأبى سكوتى ... فما صمتى بعىٍّ الأدعياء
ولا يُعليك بين الناس خفضى ... ولم تبعد بأفقك عن سمائى
لتنزلنى إلى حيث استقرت ... بك الدنيا تفنن فى العداء

تخبّرُنى اللحاظ بفضل قوم ... على ما نلت من فرص الرخاء
وكنت أظنه حسداً لقولى ... لخلت الصمت أقرب للنجاء
ولو سمعوا بموتىَ ما استراحوا ... ولا يشفى حقودهمُ فناء
أرادوا لى الممات ولو دهانى ... لفرط الحقد أحسد للفناء
فلا يرضيهمُ عيشى رخياً ... ولا يرضيهمُ منى عفاء
وفى الدنيا الدنيئة هان سمحٌ ... تعالى عن سلاح الأدنياء
إذا ما أحرجوا سمحاً كريماً ... تدَرَّع بالقوادع فى الرماء
دعونى صامتاً فالصمت أوقى ... لكم إن لم تصولوا بالضراء
أداجى الناس ما داجوا وإنى ... لأزهد فى الدّهان وفى الرياء
ولكن الحياة لها قضاء ... فمن يأباه يزهد فى البقاء
وما أدرى لَدُنْ ألفى عدُوّاً ... أأبله أم تباله بالعداء
أخَوَّفَهُ أذاى أخو دهاء ... أخَوَّفَهُ ذكائىَ واعتلائى
أتَّقىَ وعده بالخير إما ... تمادى من تمادى فى الجفاء
أسَعْىُ سعاية ام قول واشٍ ... يُحَكِّمُهُ المُحَكِّمُ فى الخفاء
أرَجّاهُ مُرجّى الخوف منى ... ضلالاً نيل عونىَ أو ثنائى
أعَدْوى فى التثاؤب من كسول ... كعدوى فى العداوة والاخاء
أرشح اللؤم فى رهط وضيع ... يفيض بما يشاء من الأداء
ومن عرف الأنام رأى أموراً ... مُرَعْبَلَةً كرعبلة الكساء
أراها كلها صُوَراً تَنَزَّى ... تَنَزّى الآل فى الخرق الخواء
سراب لست أتبعه فأخشى ... هلاكاً لا ولا هو من رجائى
أنا المرء الذى عرف البرايا ... فلا يردى لعاد أو لشائى
ومن خَبَرَ الأنامَ لِصُنْعِ فنٍّ ... فكل الخلق من صُوَر الأداء
تراموا بالهجاء فان أصابوا ... فرهطهم الملطخ بالهجاء
أليس الرهط فرداً ثم فرداً ... وأوصافاً لها عدوى الوباء
نعتم رهطكم لما نعتم ... نفوسكم بأوضار الرماء
نفوسكم معرّة كل رهط ... ومذرجة الشعوب إلى الفناء
ومهزلة المكارم والمعالى ... وهل لؤم يؤول إلى علاء
لعلكم حسبتم كل شر ... إلى عود بخير وانتحاء

عبد الرحمن شكرى